آيات الأخرس

الأستاذ الدكتور
شحات حسيب الفيومي
وكيل كلية أصول الدين بالمنوفية

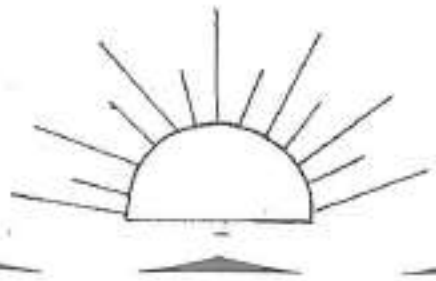

آيات الأخرس

في جلسة عمل جمعت بيني وبينه ظللها الهدوء . ولفها السكون . كان طابع الحوار هادئاً . تعلمت منه كثيراً كيف تكون الإدارة . فهو ربّان ماهر يقود الباخرة بذكاء ويظهر ذكاؤه عند العاصفة . وعند العبور بها في منطقة بعيدة الأعماق . يراه الجالس معه يسوق رأيه دون قَسْرٍ أحد عليه . واسع الصدر . حكمته تسع الشارد والأحمق والأرعن والجامح والخاطئ والمخطئ . ويصغي للعاقل والحصيف . ويخرج من ميدان العمل ولم يحمل في كنانته ضغينة لأحد يميل إلي الرحمة . ويسامح في كثير من حقوقه . إنه الأستاذ الدكتور / حسن عبد الحميد / عميد كلية أصول الدين بالمنوفية – في جلسة العمل هذه قال لي أريد منك بحثاً للمجلة وأريد أن يستفيد منها القارئ بثقافات مختلفة . قلت له أنا كتبت موضوعاً وهو تحت الطبع الآن وهو "الإسلام المفتري عليه بالإرهاب" فقال : ونريد آخر ولي هدف ثقافي من هذا فلقد بقيت صفحات من المجلة بعد أن استوعبت بحوث المدرسين والأساتذة المساعدين الذين يريدون الترقية . وقال : في خلال أسبوع من الآن تأتي إلينا بموضوع فخرجت من هذه الجلسة مهموماً فعادتي أن لا أكرر موضوعاً أو آتي بموضوع سبق نشره أو أن أنقل موضوعاً من كتاب لي فزاد ذلك من همي . وعادتي أنني لا أنظر في موضوع لي بعد نشره أو استمع إلي حديث سجلته .

اسم آيات الأخرس :

تركت فضيلة الدكتور / حسن عبد الحميد وأحمل في قلبي وعقلي هماً فركبت السيارة ساعة الأصيل متجهاً إلي بلدتنا . تطوى السيارة الطريق الزراعي طيًا رقيقاً . لقد اقتحم نسيم الأصيل نوافذ السيارة . وراح يداعب شعري . يحمل بين ذراته أريج أزاهير البرتقال التى ملأت الحقول . وزاد من جمال الرحلة اخضرار الأشجار في هذا الوقت . تمنيت أن يكتب الخلود لأرض مصر وهي على هذه الصورة الجميلة وتمنيت أن لا يدنسها محتلٌ أو غاصب . وهيهات فالخلود لله وحده ويبقي وجهه . ويفني خلقه . أثناء سير السيارة تاقت نفسي إلي سماع الإذاعة المصرية أو إحدى الإذاعات العربية . فامتدت يدي إلي

زر المذياع فسمعت اسما طرق سمعي فقد طرق سمع الدنيا كلها منذ فترة ليست بالبعيدة إنه اسم " آيات الأخرس " هذا الاسم دار على ألسنة وسائل الإعلام من تلفاز وإذاعة وصحف ومجلاّت عرفته كل بقعة من بقاع المسكونة : في الصين وفي المغرب وما بينهما وما بين الدائرتين القطبية الشمالية والقطبية الجنوبية دوّي في الأمريكتين . وكان كالقارعة في الولايات المتحدة الأمريكيّة . وكان كالواقعة في بريطانيا . وكان كالراجفة في إسرائيل أخرست اليهود وانتظروا الرادفة .

حفظت المدارس بجميع مراحلها هذا الاسم وسكن في قلوب طلاب وطالبات الجامعات ورفعت صورة صاحبة هذا الاسم على حوائط الجامعات والمدارس ونقشت في قلوب القاسية قلوبهم فلا تفارقها أبداً . هذا في عالم البشر والشهادة .

أما العالم الغيبي : فلقد اصطفت الملائكة وازدانت السماء وفتحت أبوابها وعلت أصواتهم ترحّب بروح " آيات الأخرس " ذُكر اسمها في الملأ الأعلي وكأنهم يقولون : مرحباً بالزهرة الغضّة الندية . لأنها فريدة في هذا العالم . فجادت بأنفَسِ شيء . جادت بروحها فكُتب لها الخلود .

زهرة تفتّحت بعض أوراقها :

يحرص كثير من المسلمين على سماع أخبار أرض القدس المحتلة وهم في حالة ترقّب وشغف عن وقوع عملية استشهادية توجع العدوّ الإسرائيلي وتحدث بين أفراده إصابات بالغة . فتؤرقه وتزلزل كيانه . فهي رياح اليأس التي تهب على نفوس الصهاينة . فأقضّتْ مضاجعهم وسلبتهم النوم والاطمئنان . وعملية آيات الأخرس . غير العمليات الأخرى التي يقوم بها الرجال . فالبطل في هذه المرة زهرة تفتّحت بعض أوراقها وما زالت بقية الأوراق ساكنة إنها ابنة ستة عشر عاماً فأترابها من الذكور لم يطرقوا باب الرجولة بعد وربما لم تصل بعد إلي البلوغ . رأيت صورتها على شاشة التلفاز عقب استشهادها وهي تعصب رأسها بالعصابة الفلسطينية . فكانت تاجاً على رأسها تتوّج به قمر ليلة البدر .

يشع من وجهها جمال شابه جلال الإيمان . شاهدتها في فيلم تسجيلي قبل أن تزف إلي العالم العلوى بدقائق كانت ترتل بعض آيات القرآن وترفع يديها إلي الله ضارعة أن تنجح في مهمتها . طبعت صورتها في خاطري فلا تفارقني .

أستأذن " آيات " في محاورتها والحديث عنها :

من أنت ؟

أنا " آيات الأخرس " من فلسطين . مسلمة . مازلت أطرق في أيامي هذه باب المراهقة بعد مرحلتين . مرحلة الطفولة المبكرة ومرحلة الطفولة المتأخرة . رأيتني في المرحلة الأولى والثانية طفلة جميلة على رأسها ذؤابة تتلوى فوق رأسي كبنات جيلي ، صفحة فكري مازالت بيضاء . مازالت آثار الفطرة التى فطرني الله عليها في دمي وسلوكي لأن أيامي لم تبعد عنها كثيراً . لم تنضج غرائزي نضجاً كاملاً بعد فلم تولد أنوثتي . أنظر إلي مَنْ فوقي من بني جنسي أجده عالماً مترعا بالعجائب . منهن الهيفاء الفارعة ومنهن الأغصان اللائي يُخشي عليهن من النسيم أن يميلهن . ومنهن البدور في ليالي النصف ومنهن الغزلان عند نفرته : ومنهن من يقتل الورد نفسه حسداً عليهم . ومنهن مَن يحدّث النسيمُ الفراشَ عن حسنهن . وبعض الفتيات من هذا العالم قد عرضن أنفسهم عرضاً رخيصاً كاللحوم المعلقة عند القصاب وتعرضهن وسائل الإعلام المرئية فتفترسهن أعين الناظرين وبعض الفتيات ارتدين حلة التقوى ولباسها خير لباس .

بدأت مشوار تعليمي في ظل احتلال اليهود لأرضنا . أجد نفسي كبيرة في جسم صغير . وأراني جبلاً يتدرج عليه الصخر ويلتصق به الحصي . ينبت بين طبقاته الشوك الدامي وتبرز منه الأغصان المرة وتضرب الجذور في أعماق صخوره . فهذا الجبل في أتم روعة ورهبة . أعماق كأعماق هذا الطود الراسي الذي يمتد بجذوره إلي باطن الأرض المنصهر . فأحد بركانا يموج تحتي وأخاف على قومي خوف النملة على أمّتها ووديها من أن تقع قدم إنسان أو حيوان ضخم فتهلكها . وأخاف على البشرية جمعاء من نجم يقترب من الأرض فيتنفس عليها

فيرسلها زفرة في جوف الأبد . وأحمل في قلبي رقة لو أرسلتها لصارت نسيماً للبشرية . وفي قلبي حب لو بعثته لوسع قلوب البشر جميعاً .

ما الذي أخفى رقتك وحبك ؟

قل ما الذي أمات فيك الرقة والحب ؟

لقد احتل اليهود بلادنا . وأرادوا اقتلاع شعب من جذوره . ولم يقنعوا بما سلبوه وملكوا ترسانة نووية حتى يقذفوا الرعب في قلوب العرب من المحيط إلى الخليج ونجحوا في ذلك . والعرب صاروا جثثا هامدة وساعدت أمريكا إسرائيل في ذلك . ومن جيش الاحتلال الغارات بالليل وبالنهار لا يعرف الكرى أعيننا . ولا يعرف الأمن إلى قلوبنا سبيلاً . أصوات المدافع ليل نهار والانفجارات في كل مكان . والأشلاء البشرية في كل بقعة متناثرة . والعالم كله يرى الظلم والجور كأننا من كوكب آخر ولسنا من سلالة آدم – عليه السلام – ولو فُعل ذلك في قطعان الغنم الأوربية لهبّت جمعيات الرفق بالحيوان ودافعت عنها . بيد أن العالم إذا نظر إلينا راح في غيبوبة فلا يدري بأي شيء .

والجائزة الكبرى أمريكا تضرب وتتوعد . ضاقت ذرعا من هذا العالم وظلمه وأصبحت الدنيا نفقا مظلماً . بكاء الأطفال لا يسمع . وأصوات الثكلى لا ينفع . وأنين الجرحى لا يؤثر . فقد البشر الأحاسيس . وماتت المشاعر . ودفنت العواطف . ووُئدت الرحمة . وعاثت أمريكا في الأرض فساداً . صار عالما مظلماً بسبب الظلم الذي أطبق . والشر الذي ساد . فأصبح يحيا حياة الغاب .

ما حقيقة الدنيا في نظرك ؟

تخرج بين الحين والحين نداءات تتعلق بالأطفال . ومصدرها أوربا وأمريكا وهي شعارات كاذبة . فالأطفال يُضربون بالرصاص في فلسطين . ويرى العالم كله ذلك . رأيت هذه المشاهد وأنا طفلة . فهل الدنيا تساوي شيئاً ؟ إنها لا تساوي شيئاً . وأجبْ أنت عن أسئلتي :

ما هو الزمن الذي يقضيه الإنسان من يوم ميلاده إلي أن يموت فإذا جاء أجله رحل وكأن الدنيا ترفضه وتلفظه ليسكن تحت التراب وبعد ذلك تطؤه الأقدام؟

وما قيمة هذا المهد الذي يكبر شيئاً فشيئاً حتى يصير في النهاية قبراً ؟

وما مدة هذا العمر الذي ينقص قليلاً قليلاً حتى ينتهي إلي التراب فيغيب فيه ؟

وما قدر البشر حين تتحول أجسامهم في الأرض إلي تراب حتى يصيروا جزءاً منه ؟

هذا هو الفناء المحتوم . والشقاء المقضي . والأمل في دنيانا باطل . فكل ماله نهاية لا قيمة له في نظر العاقل . بيد أن المطامع والحماقات والجهل والكبرياء جعلتها كأنها الأبد كله . فيكد الإنسان ويكيد ويعمل ويدخر ويهذأ ويحزن ويطمع ويحرص ويمرض ويشيخ . وفي كل لحظة يجري عليه قضاء الخالق ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [1] .

فهل لها قيمة بعد هذا ؟ ولقد لعنها الرسول (ﷺ) فقال (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالي وما ولاه وعالما أو متعلماً) [2] .

أو إن شئتي فقل مع حقارتها هي أرض للغرس والبذر . وميقات الحصاد يوم القيامة .

وهي دار بلاء فالإنسان من الهم في عُمر دهر لا يموت . ومن السرور في عمر لحظة تشب وتهرم وتموت . ومن الصحة والمرض والألم مما سَرَّ وساء وما شدَّ وهدَّ . ويحيا الإنسان تحت السُّحب القاتمة مع الخيال وأحلام اليقظة ولا يحصل إلا على ما قُدِّر له.فمن لم يسلك درب التقوى فحياته خداع وغرور .

---

١ – سورة الانشقاق الآية رقم : (٦) .

٢ – رواه الترمذي .

وزيغ وخطأ . وعمل وعبث . ولهو ولعب . ومهزلة وسخرية . فالبشر كالأرقام تخط على التراب ثم يقال للعاصفة اجمعي واطرحي وحلي المسألة . وإن شئت فقل : كل لحظة تمتلئ هذه الدنيا لتفرغ ثم تفرغ لتمتلأ . وما ضيها ومستقبلها مطرقتان يمر بينهما كل إنسان ليتحطم . وهذا سر البلاء فيها . وإن شئت فقل : إنها جيفة اجتمع عليها الكلاب وتنازعوها . وما اجمل وصف الإمام أبي حامد الغزالي لها عندما شرع في الحديث عن ذم الدنيا فقال (الحمد لله الذي عرّف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها . ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرُها على معروفها . ولا يفي مرجوها بمخوفها . ولا يسلم طلوعها من كسوفها . ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها . ولها أسرار سوء قبائح تُهلك الراغبين في وصالها . ثم هي فرّارة عن طلابها شحيحة بإقبالها . وإذا أقبلت لم يؤمن شرُّها ووبالها . إن أحسنت ساعة أساءت سنة . فدلوائر إقبالها على التقارب دائرة . وتجارة بينها خاسرة بائرة . وتجارة بينها خاسرة بائرة . وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة . ومجاري أحوالها بذلّ طالبيها ناطقة . فكل مغرور بها إلي الذل مصيره . وكل متكبّر بها إلي التحسُّر مسيره . شأنها الهرب من طالبها . فمن خدمها فاتته . ومن أعرض عنها واتته . لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات . ولا ينفك سرورها عن المنغصات . سلامتها تُعقب السقم . وشبابها يسوق إلي الهرم . ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم . فهي خداعه مكارة طيّارة فرّارة . لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها كشّرت لهم عن أنيابها . وشوّشت عليهم مناظم أسبابها . وكشفت لهم عن مكنون عجائبها . فإذا فتنهم قوائل سمامها . ورشقتهم بصوائب سهامها . بينما أصحابها منها في سرور وإنعام . فولّت عنهم كأنها أضغاث أحلام . فعكّرت عليهم بدواهيها . وطحنتهم طحن الحصيد . ووارتهم تحت الصعيد . إن ملّكت واحداً منهم جميعَ جميعِ ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيداً كأن لم يغن بالأمس . تمني أصحابها سروراً . وتعدُهم غروراً . حتى يأملوا كثيراً ويبنوا قصوراً . فتصبح قُصورهم قبوراً . وجميعهم بوراً . وسعيهم هباء منثورا . ودعاؤهم ثبوراً . هذه صفة الدنيا وكان أمر الله قدراً مقدورا) [1] .

---

١ - إحياء علوم الدين ج ٣ ص (٢٨٤) .

ألم تر أن الله قال بصيغة الأمر المراد به الخبر فقال : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [١] .

فالمراد من الأمر الخبر وأتي بصيغة الأمر ليستقر في قلب كل عاقل وأطلق على الدنيا أسماء ثلاثة لعبا ولهوا وزينة . وبيّن أمرين يتعلقان بالمعاملة فيها هما التفاخر بالأنساب والمآثر . والتكاثر في الأموال . وشبّهها في سرعة زوالها وقلّة أيامها بالغيث يصيب الأرض فتنبت نباتاً حسناً يعجب الزراع ثم يجف مع صفرة حتى يصير هشيماً مفتتاً مكسّر اتذروه الرياح كأنه لم يكن وتنتهي الآية بأسلوب قصر " وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور "

آيات :

لقد عرفتُ من حديثك عن الدنيا أنك آثرت الآخرة على الدنيا أليس كذلك ؟

بلي :

لقد آثرت الآخرة على الدنيا لأن الله أخبر القدوة الحسنة بأن الآخرة خير من الدنيا فقال ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى،وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [٢] الرّتاج الذي ولجت [٣] منه آيات إلي الآخرة :

هل فكّرت في قرع باب الآخرة ؟

أجلْ : فكرتُ فيه كثيراً وعرفت أن الشهادة أعظم باب ألجه إلي الجنة فسمعت عن أبطال دخلوا من هذا الباب وحينما يعلن العدو وأعداء الإسلام عن هذه العمليات فوسائل الإعلام المسلمة الواعية تطلق عليها العمليات الاستشهادية

---

١ – سورة الحديد الآية رقم : (٢٠) .

٢ – سورة الضحى الآيات رقم (٤ ، ٥) .

٣ – الرّتاج الباب الذي دخلت فيه إلي الآخرة . وجمعه رُتُج .

وأعداء الإسلام والجهلة بالدين ممن يطلق عليهم مسلمون يقولون عمليات انتحارية وشتان بين الاستشهادية والإنتحارية فالنيتان مختلفتان .

فالإنتحارية تخلُّص من الحياة من أجل ما يعانيه المنتحر . والاستشهادية بذل للنفس للتخلص من عدوها فهناك خطوط فاصلة بينهما . أساس هذه الفواصل النية . فالشهيد يُقبل فرحاً مسروراً على يقين أنه يرضي الله تعالي أما المنتحر فهو يائس ضعيف معذَّب يدخل النار . ومن جهة أخرى الشهيد قوي العزيمة متين الإرادة عظيم النفس فيقوم بعمله . والمنتحر خائر العزيمة ضعيف الإرادة .

تقول آيات : تصفَّحت أحاديث رسول الله (ﷺ) قال : " من قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون دمه فهو شهيد . ومن قُتل دون أهله فهو شهيد " (١) .

فالذين يزعمون أن أعمالنا هذه انتحارية فهم جاهلون يقولون هذا القول رجما بالغيب فأردت أن أدخل الجنة وأُقتَل دون أهلي حتى أدرأ عنهم ظلم الغاصبين واستعنت بالله وعرفت أنه سيعينني على نجاح عمليتي فالرسول (ﷺ) أخبر بذلك قال عليه الصلاة والسلام (ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف) (٢) .

وطمعت فيما أعده الله للمجاهدين من درجات عظيمة ليست لغيرهم قال رسول الله (ﷺ) (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) (٣) .

فاخترت طريق الشهادة وأدركت أنني سأنال من العدو أكثر من غيري من الأبطال . لصغر سني وبراءة وجهي ولا يظن أحد منهم أنني سأعمل عملية استشهادية فأصل إلي مجموعة كثيرة العدد من اليهود فأقتلهم فتكون الفجيعة عظيمة فإن هذا اللون من ألوان الجهاد هو الذي يصيب كل يهوديٍ في قلبه ويُفقد

---

١ - رواه أبو داود والترمذي .

٢ - رواه الترمذي .

٣ - رواه البخاري .

توازنه . وفي هذا ثواب عظيم قال تعالي : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

الفرق بين المسلم وغيره :

المسلم يتعجل لقاء الله تعالي ولا سيما حين يكون اللقاء عن طريق الشهادة لأنه يوقن بأنه بعد استشهاده يدخل الجنة ويرزق فيها ويُنَعَّم ويحيا حياة لذة ونعيم إلي يوم القيامة فينتقل من نعيم إلي نعيم فبعد الشهادة يحيا الشهيد حياة حقيقية أما حياة الدنيا فهي حياة غير مستقرة وليست حقيقية بل هي متقلبة لذا يتعجل المسلم لقاء الله أما غيره كاليهودي فهو أحرص الناس على التشبث بالحياة وزينتها ويتمني أن لا يأتيه الموت لأنه يدخل النار بعد موته فيخاف من مجهول ما بعد الموت قال تعالي : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ (٢) .

تقول آيات :

لقد أيقنت بما عند الله فتهيأت وأحطت جسدي بحزام من المدمّرات والمتفجرات وتقدمت تقدم الواثق الذي لا يشك أحد في حركته وعمله ودخلت وسط القوم واستعنت بالله وسمَّيت فقتلت العشرات من أعداء الله وما أجمل لقاء الله لأنه عن رضيَ فرضي عني وأرضاني وهو الذي تولي قبض روحي . ولقد عاينت ما أخبر به الله تعالي : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (٣) .

ولقد أخبر الرسول (ﷺ) عن الجوائز التى ينالها الشهيد قال عليه الصلاة والسلام (للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دُفعة ويري مقعده من

---

١ – سورة التوبة الآية رقم : (١٢٠) .

٢ – سورة البقرة الآية رقم : (٩٦) .

٣ – سورة محمد – عليه السلام – الآية رقم (٤ – ٦) .

الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه) [١] .

آيات :

ماذا لقيت من الألم عند انفجار الحزام الناسف فيك وقتل الكثير من اليهود؟

لقد استُشهدت وقُتل الكثير من اليهود ولا نستوي في القتل .

هل يستوي قتل المظلوم الذي يدرأ الظلم عن أهلة ووطنه بقتل الغاصب الذي يسفك دماء المسلمين ؟

فالشهيد يُنقل إلي الجنة والغاصب يُنقل إلي العذاب والجحيم الأبدي .

أما أنا فلم أشعر بأي ألم ولقد لمست ذلك عند الانفجار فلم أشعر إلا بالانتقال إلي نعيم الخلود ولا غروا في هذا فإن الرسول (ﷺ) أخبر بعدم وجود ألم عند الاستشهاد قال عليه السلام (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القَرْصة [٢]) [٣] .

فأنا لم أشعر إلا بما أخبر به رسول الله (ﷺ) . ولما كان الألم عند الشهادة قليلاً . والثواب عظيماً تمني الشهيد أن يرجع إلي الدنيا ثم يقتل مراراً لما يري من الثواب العظيم .

حياة الشهداء :

آيات : صفي لي حياة الشهداء ؟

---

١ – رواه الترمذي .

٢ – القَرْصة : بفتح القاف وسكون الراء هي الواحدة من القرص وهو أخذ جلد إنسان بين إصبعين حتى يتألم أو هي لسعة بعوضة .

٣ – رواه الترمذي .

أصف لك حياة الشهداء وقد وصفها الله تعالى وصفاً لا يستطيع أحد أن يصف وصف الله لها لأنه خالقها ومدبّر أمورها وهي من فيض رحمته وإنعامه على الشهداء قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [١].

فوَصَفَ الله لتلك الحياة ينبئ عن حقيقة ضخمة في ذاتها . ضخمة في آثارها فالذين قتلوا في سبيل ليسوا أمواتا كبقية الأموات بل أحياء عند ربهم ويكفيهم التشريف الذي يندرج تحت العندية وما أعظم سعادتهم وهم عند ملك الملوك ينعمون بفضله ويتقلبون فيما أباحه لهم من الجنان فهم لم ينقطعوا عن المسلمين ولا عن أحداثهم فهو متأثرون بهم مؤثرون فيهم فهم " يرزقون " عند الله وهم فرحون بما آتاهم الله من فضله وهم يستبشرون بمصائر من وراءهم من المؤمنين وهم يحفلون الأحداث التى تمر بمن خلفهم من إخوانهم فهذه خصائص الأحياء من متاع واستبشار واهتمام وتأثر وتأثير فما الحسرة على فراقهم وهم أحياء موصولون بالأحياء وبالأحداث فوق ما ناليهم من فضل الله وفوق ما لقوا عنده من الرزق والمكانة .

وما هذه الفواصل التى يقيمها الناس في تصوراتهم بين الشهيد الحى ومن خلفه من إخوانه والتى يقيمونها بين عالم الحياة وعالم ما بعد الحياة ولا فواصل ولا حواجز بالقياس إلى المؤمنين الذين يتعاملون هنا وهناك مع الله إن جلاء هذه الحقيقة الكبيرة ذو قيمة ضخمة في تصور الأمور إنها تُعدّل بل تُنشأ إنشاء تُصوّرُ المسلم للحركة الكونية التى تتنوع معها صورُ الحياة وأوضاعها وهي موصولة لا تنقطع فليس الموت خاتمة المطاف بل ليس حاجزاً بين ما قبله وما بعده على الإطلاق إنها نظره جديدة لهذا الأمر ذات آثار ضخمة في مشاعر المؤمنين واستقبالهم للحياة والموت وتصورهم لما هنا وما هناك [٢].

---

١ – سورة آل عمران الآيات رقم : (١٦٩ – ١٧٢) .

٢ - في ظلال القرآن ج ١ ص (٥١٧) .

ملامح حياة الشهداء :

لا نعرف ونحن في الحياة الفانية نوع الحياة التى يحياها الشهداء بل نعرف ملامحها من القرآن ومن السنة المطهرة .

والنص القرآني الذي وصف الله فيه حياة الشهداء كفيل بأن يغيِّر مفاهيمنا للموت والحياة وما بينهما من انفصال والتئام فالأولى بنا أن نتأمل ملامحها من الله عز وجل ومن رسوله الذي لا ينطق عن الهوي وهذه الملامح هي :-

أولاً : أناس قتلوا في سبيل الله وفارقتهم أرواحهم كما تبدو لنا أجسامهم فتجردوا من كل الأعراض والأغراض واتصلت أرواحهم بالله لأنهم جادوا بأغلي شيء وهو ما تقوم به الحياة ولقد عبر الله عن ذلك بقوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [1] .

فالشهداء الذين باعوا أنفسهم لله هم صفوة مختارة ذات صفات مميزة عقدوا هذه الصفقة مع الله فنالوا بها الجنة .

ثانياً : هم أحياء عند ربهم . يروي الإمام مسلم بسنده عن مسروق " قال سألنا عبد الله عن هذه الآية " **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** " فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك : فقال : أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلي تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعه فقال : هل تشتهون شيئاً . فقالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخري فلما رأي أن ليس لهم حاجة تركوا " [2] .

---

١ - سورة التوبة الآية رقم : (١١١) .

٢ - رواه مسلم .

وروي الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : "قال رسول الله (ﷺ) : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا " (١) .

وفي حديث آخر قال " رسول الله (ﷺ) : نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلي يوم القيامة " (٢) .

ومعني الحديث : أن الروح المؤمن على هيئة طائر . ومعني : يعلق : أى يأكل وأما أرواح الشهداء فهي في جوف طير خضر فهي كالكواكب بالنسبة لأرواح عموم المؤمنين (٣) .

ثالثاً : " **فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** " فهم يستقبلون رزق الله بالفرح والسرور لأنهم يعرفون أن هذا الرزق من فضل الله عليهم . فهو دليل رضاه عليهم فأي شيء يفرحهم إذن أكثر من رزقه الذي جاء ثمرة الرضا .

رابعاً : " **وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** " فهم يُسَرُّون بلحوق من خلفهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم يقول سعيد ابن جبير " لما دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة فإذا شهدوا للقتال باشروها بأنفسهم حتى يستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير " (٤) .

إن الشهداء لم ينفصلوا عن إخوانهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ولم تنقطع صلاتهم بهم لأنهم أحياء مستبشرون بما لهم في الدنيا والآخرة . وموضع استبشارهم لهم " **أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** " فأصبح الشهداء أحياء عند

---

١ – رواه أحمد .

٢ – رواه أحمد .

٣ – انظر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ج ٢ ص (١٤٢) .

٤ – المرجع السابق .